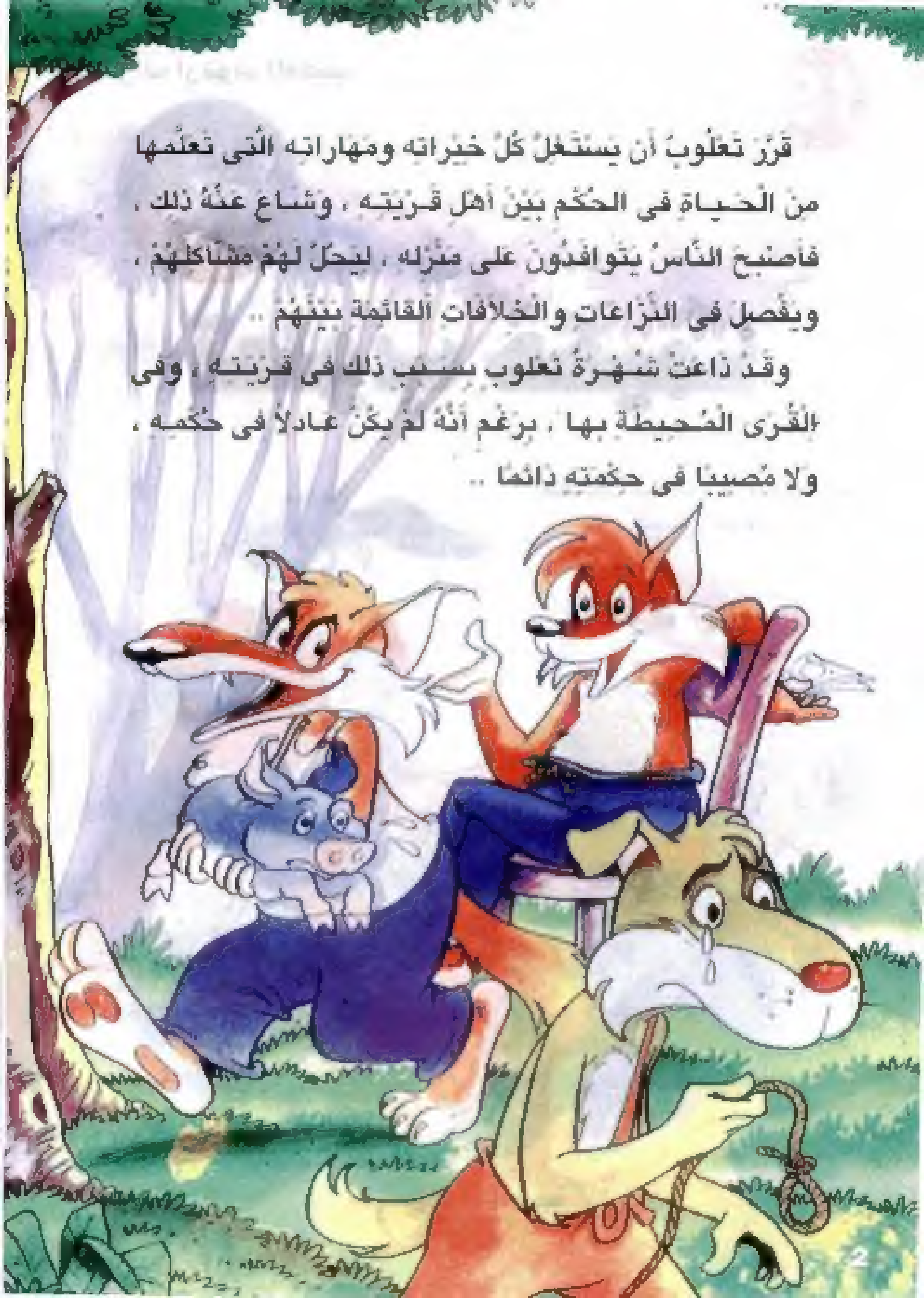




ثعلوب حكيمًا

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافى سيد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قرر ثعلوب أن يستغل كل خبراته ومهاراته التي تعلمها من الحياة في الحكم بين أهل قريته ، وشاع عنه ذلك ، فأصبح الناس يتوافدون على منزله ، ليحل لهم مشاكلهم ، ويفصل في النزاعات والخلافات القائمة بينهم ..

وقد ذاعت شهرة ثعلوب بسبب ذلك في قريته ، وفي القرى المحيطة بها ، برغم أنه لم يكن عادلاً في حكمه ، ولا مصيبا في حكمته دائما ..

كانَ في استطاعةِ ثعلوبَ أنْ يُبرِئَ المُذْنِبَ ، ويَحكُمَ ضِدَّ البَريءِ ، ويقلبَ الحقَّ باطلاً ، ويُزيِّفَ الحقيقةَ ، طالما أنَّ الجاني يدفعُ لهُ ..

وقدْ ضاقَ النَّاسُ بذلكَ ضيقًا شديدًا ، وشكوْا الأمرَ إلى أرْنوبَ ، فقرَّرَ التَّعرُّفَ على طريقتِهِ ، حتَّى يُلقِّنَ ثعلوبًا دَرْسًا وعِظةً ..





وذات يوم ارتدى أرنُوبُ ثوبًا فخمًا جدًا ، بل هُو أفخمُ ثوبٍ راهُ شخصٌ فى القريةِ ، وركبَ جوادَهُ مُتوجِّهًا إلى منزلِ ثعلوب ..

وهُناكَ ترجَّلَ عنْ جوادِهِ ، وطرقَ بابَ المنزلِ ، ففتحَ لهُ ثعلُوبُ البابَ بنفسِهِ ، فلمَّا راهُ فى ثوبِهِ الحريرىِّ المطرَّزِ بخيُوطِ الذَّهبِ لمْ يتعرَّفْهُ ، وظنَّهُ أحدَ الأثرياءِ فرحَّبَ بهِ ، وأدخلَهُ إلى الحُجرةِ الَّتى يستقبِلُ فيها ضيُوفَهُ ..

وفي الدَّاخلِ صارحهُ أرنُوبُ بالحقيقةِ ، مُعرِفًا إياهُ بنفسِه ، فنظرَ إليهِ ثعلوبُ باحتقارٍ قائلاً :

- مِنْ أينَ سرقتَ هذا الثَّوبَ الفخمَ أيُّها المُحتالُ ؟ إنَّ هذا الثَّوبَ لايليقُ بشخصٍ تافهٍ مثلك ، وإنَّما يليقُ بشخصٍ نابهٍ حكيمٍ مثلي ..

ودُونَ أنْ ينطقَ أرنُوبُ بحرفٍ واحدٍ نزعَ الثَّوبَ عنْ نفسِه ووضعهُ على كتفي ثعلوب ..



فَرِحَ ثَعْلوبُ بِالثَّوْبِ ، وراحَ يرتديهِ على عجلٍ ، ثُمَّ أخَذَ يَدُورُ في المكانِ مُخْتالاً بِهِ ، وهُوَ يتأمَّلُ نفْسَهُ في المِرْآةِ ، تارةً مِنْ هذا الجانبِ ، وتارةً مِنْ ذاكَ الجانبِ ..

وبعْدَ أنِ انْتَهى مِنْ ذلِكَ جلَسَ مُخْتالاً ، وقالَ لأرْنُوب :

- يا لهُ مِنْ ثوْبٍ رائعٍ .. لكَمْ أسعدْتني ياعزيزي أرْنُوبًا بهذهِ الهديَّةِ ، الَّتي لا تُقدَّرُ بثمنٍ ..



فقالَ أرنُوبُ : أنْتَ يا عزيزى ثعلوبًا تستحقُّ أكثرَ منْ ذلكَ ، بسببِ ما سمعْتُهُ عنْ حكْمتكَ ، وحكْمكَ بيْنَ النَّاسِ بالعدْلِ ..

فمدَّ ثعلوبُ عُنُقَهُ إلى الأمامِ ، ومالَ على أرنُوبٍ قائلاً :

ـ الآنَ عرفتُ أنَّ كلَّ ما قيلَ لى عنْكَ منْ كلامِ السُّوءِ ليْسَ صحيحًا .. رُبَّما تكُونُ قدْ كذبْتَ لأحدِ الأغبياءِ ، ولكنْ حسنًا فعلْتَ ، وليَلُمْ هُوَ نفسَهُ ..

فسكتَ أرنوبُ ولمْ ينطقْ بكلمةٍ واحدةٍ ..





وبعدَ قليلٍ نظرَ إليْهِ ثعلوبُ قائلاً :

- في أيِّ شيْءٍ جئْتَ تقْصدُني يا أخي ؟!

فقالَ أرْنوبُ بعْدَ تفْكيرٍ قصيرٍ :

- جئْتُ أطلُبُ منْكَ النُّصْحَ ، ولكنْ لا أعْرفُ منْ أيْنَ أبْدأُ ..

فشجَّعَهُ ثعلوبُ قائلاً :

- تحدَّثْ ياأخي ولاتخْجلْ ، فمهْما كانتْ قضيَّتُك فسوفَ أحْكُمُ فيـهَا لِصَـالحكَ .. إنَّ هذا الثَّوْبَ يُدْفِئُ قلْبي ، ولنْ يجْعلني أنْطقُ بغيْرِ ذلكَ ..

فانْحنَى أرْنُوبُ أمامَهُ قائلاً :

ـ شُكْرًا يا أخِي .. شُكْرًا .. طالَما أنَّكَ مُتَعاطِفٌ مَعِي إلَى هذِهِ الدَّرَجَةِ ، فَسَوْفَ أحْكِي لَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأمانَةٍ وصِدْقٍ ..

فَقالَ ثَعْلُوبُ :

ـ تَفَضَّلْ ، فأنَا كُلِّي آذانٌ صاغِيَةٌ لَكَ ..

فاعْتَدَلَ أرْنُوبُ في جِلْسَتِهِ ، وقالَ : كانَ عِنْدِي خادِمٌ ، وقَدْ دَفَعْتُ فيهِ أجْرًا كَبِيرًا ، وتَعَلَّقْتُ بِهِ وأحْبَبْتُهُ حُبًّا كَثِيرًا .. كُنْتُ أحافِظُ عَلَيْهِ ، كَما تُحافِظُ الأُمُّ علَى أطْفالِها ، والطُّيُورُ علَى صِغارِها ..





فقالَ ثعلُوبُ مُقاطعًا :

- هذا واضحٌ من سلُوكِكَ النَّبيلِ معي ..

فقالَ أرنُوبُ :

- لمْ يكُنْ هُوَ خادمي ، بلْ أنا الذي كُنْتُ خادمَهُ .. كُنْتُ أعملُ أنا ، وهُوَ يجلسُ مُستريحًا ، وإذا سقطتْ عليهِ ذرّةُ تُرابٍ كُنْتُ أنفُضُها عنْهُ بحرْصٍ شديدٍ ، وإذا مسَّتْهُ قطرةُ ماءٍ كُنْتُ أُجفّفُها عنْهُ بسرعةٍ ، وعندما كُنّا نخْرُجُ معًا كُنْتُ أسيرُ وأحمِلُهُ على كتفي ..



فقالَ ثعلوبٌ :

ـ فماذا جرى إذنْ ؟!

فقالَ أرنوبٌ :

ـ اليومَ فقط فقدتُ خادمي

فسألهُ ثعلوبٌ بفضول

ـ وكيفَ حدثَ ذلك ؟

فردَّ أرنوبٌ :

ـ قابلتُ أنا وهو أحد اللئام ، وما إن رأى خادمي ، حتّى طمع فيه



فسألَهُ ثعلُوبُ

- كيْف ؟!

فقال أرنُوبُ :

- راح يمتدحُهُ أمامي ، ويدْنُو ، حتَّى استمال إلَيه الخادم ، فهرب إليْه .. ذهب خادمي الجاحدُ إلى سيِّده الْجديد وتركني ..

فقال ثعلُوبُ : هذا جُحُودٌ ونُكرانٌ للجميل منْهُ



فَقَالَ أَرْنُوبُ : مَاذَا أَفْعَلُ الآنَ ؟ فَكِّرْ بِمَاذَا تَنْصَحُنِي يَا أَخِي ؟!

فَقَالَ ثَعْلُوبُ : وَهَلْ هَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْكِيرٍ ؟! ابْحَثْ عَنْ خَادِمِكَ ، حَتَّى تَجِدَهُ ، وَخُذْهُ إِلَى مَنْزِلِكَ ، ثُمَّ ابْدَأْ فِي جَلْدِهِ فَوْرًا بِالسَّوْطِ ..

فَقَالَ أَرْنُوبُ :

ـ مَدَّ اللهُ لَنَا فِي عُمْرِكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ ثَعْلُوبُ .. إِنَّ رَأْسَكَ يُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهِ مَاسًا .. إِنَّكَ لَمْ تُصْدِرْ فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا حُكْمًا أَعْدَلَ مِنْ هَذَا.. سَأُسَارِعُ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِكَ فَوْرًا ..



فَقَالَ ثَعْلُوبُ : هَيَّا اذْهَبْ وَابْحَثْ عَنِ الْجَانِي ..

فَقَالَ أَرْنُوبُ : لاَ دَاعِيَ لِلْبَحْثِ عَنْهُ فَهُوَ مَوْجُودٌ هُنَا ، فِي هَذَا الْمَكَانِ ..

فَقَالَ ثَعْلُوبُ : مُتَشَكِّكًا : مَاذَا تَقْصِدُ ؟! ..

فَقَالَ أَرْنُوبُ : الْخَادِمُ الْمَقْصُودُ هُوَ ثُوبِي ، الَّذِي اغْتَصَبْتَهُ مِنِّي ..

فَقَالَ ثَعْلُوبُ : كَيْفَ ؟!



فقال أرنوب : ألم أكن أنا الذى حافظت عليه ورعيته ، ونفضت عنه التراب ، فما إن قلت أنت بضع كلمات ، حتى صار على كتفيك .حسن .. سوف ينال جزاء خيانته وجحوده الآن ..

وأخرج أرنوب سوطا من ساق حذائه ، ثم انهال به على ظهر تعلوب ، فأخذ يقفز فى كل مكان متألما ، والسياط تلسعه ، فقال أرنوب : عفوا يا أخى .. إننى أنفذ حكمك ، وأؤدب ثوبى العاق ..


وَلَمْ يَتَحَمَّلْ ثَعْلُوبُ لَسَعَاتِ السَّوْطِ طَوِيلاً ، فَنَزَعَ عَنْهُ الثَّوْبَ ، وَأَعَادَهُ لِأَرْنُوب ، فَحَمَلَ ثَوْبَهُ مُغَادِرًا المَنْزِلَ ، وَتَعَلَّمَ ثَعْلُوبُ مِنْ ذَلِكَ أَلاَّ يَغْصِبَ شَيْئًا لَيْسَ مِلْكًا لَهُ بَلْ إِنَّهُ كَفَّ مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ عَنِ التَّظَاهُرِ بِالحِكْمَةِ ، وَعَنْ قَلْبِ الحَقِّ إِلَى بَاطِلٍ ، وَإِدَانَةِ البَرِيءِ ، أَوْ تَبْرِئَةِ الظَّالِمِ ..
[تمت]